ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Prof.Dr. Hamid Reda Shariat Madari

Prof.Dr. Syid Nasser Mousavi

Rese. Sajjad Hassan Al Noor

University of Religionc and sects

Email:
Shariatm46@gmail.com
Dr.sajad@uowasit.edu.iq

Keywords:

The Fatimid state, the Umayyad state, the Abbasid state, the geographical nature

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 4.Jul.2024

Accepted 25.Jul.2024

Published 25.Feb.2025

The nature of the political and historical geography of Islamic countries in the fourth century AH

A B S T R A C T

This research deals with the nature of the political and historical geography of Islamic countries in the fourth century AH. The introduction reviews the history of Islam and its geographical expansion from China to North Africa, with a focus on the Umayyad, Abbasid, and Fatimid states. The research deals with the emergence of the Umayyad state in Andalusia and its development through various stages, starting with the conquest of North Africa until the conquest of Andalusia. It also sheds light on the political thought of the Umayyad state. This research aims to shed light on the events and developments of these states in the fourth century AH and their impact on their path and decline in various fields.

Islamic countries were characterized by a diverse and intertwined geographical and political nature. These countries were influenced by many historical and geographical factors that affected the formation of their identity and development. Islamic countries in this era had strategic geographical locations that made them important trading centers between the East and the West.

Political relations and conflicts between Islamic countries in the fourth century AH were largely determined by geographical locations and natural resources. There were rivalries over control of seaports and vital trade routes.

The fourth century AH witnessed the emergence of the Fatimid state and its influence on the political balances in the region, and the nature of the geography of the Arab Maghreb was suitable for the establishment of a strong Fatimid state in that period.

This era also witnessed a major impact of the disputes and wars between the Fatimid state and the Umayyad state on the political distribution in the region, and these conflicts made the Maghreb region a scene of important political and cultural conflicts.

In general, understanding the nature of the political geography of Islamic countries in the fourth century AH contributes to understanding the origins of the formation of these countries and their impact on the history and development of the region.© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol58.Iss2.4001

طبيعة الجغرافية السياسية والتاريخية للدول الإسلامية في القرن الرابع الهجري

أ.د. حميد رضا شريعة مداري أ.د. سيد ناصر موسوي الباحث: سجاد حسن جاسم آل نور

هيئة الدارس / جامعة الأديان والمذاهب، قم، ايران

المستخلص:

تهدف الدراسة الى بيان أثر الطبيعة الجغرافية السياسية والتاريخية للدول الإسلامية في القرن الرابع الهجري. نستعرض في المقدمة تاريخ الإسلام وتوسعه الجغرافي من الصين حتى شمال إفريقيا، مع التركيز على الدول الأموية والعباسية والفاطمية. ويتناول البحث نشأة الدولة الأموية في الأندلس وتطورها عبر مراحل مختلفة، بدءًا من فتح الشمال الإفريقي وصولًا إلى فتح الأندلس. كما يسلط الضوء على الفكر السياسي للدولة الأموية، ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على أحداث وتطورات هذه الدول في القرن الرابع الهجري وتأثيرها على مسارها وانحدارها في مختلف المجالات.

والدول الإسلامية تتميز بطبيعة جغرافية وسياسية متنوعة ومتشابكة. وقد تأثرت هذه الدول بالعديد من العوامل التاريخية والجغرافية التي أثرت على تشكيل هويتها وتطورها. كانت الدول الإسلامية في هذا العصر تتمتع بمواقع جغرافية استراتيجية تجعلها مراكزً تجارية مهمة بين الشرق والغرب.

حيث كانت العلاقات السياسية والصراعات بين الدول الإسلامية في القرن الرابع الهجري تحدد بشكل كبير من خلال المواقع الجغرافية والموارد الطبيعية. وهناك تنافسات في السيطرة على الموانئ البحرية والمسارات التجارية الحيوية.

وشهد القرن الرابع الهجري بروز الدولة الفاطمية وتأثيرها على التوازنات السياسية في المنطقة، وكانت طبيعة جغرافية المغرب العربي مناسبة لإقامة دولة فاطمية قوية في تلك الفترة.

كما شهد هذا العصر تأثيرًا كبيرًا للخلافات والحروب بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية على التوزيع السياسي في المنطقة، و كانت هذه الصراعات تجعل منطقة المغرب العربي مسرحًا لصراعات سياسية وثقافية هامة.

بشكل عام، فإن فهم طبيعة الجغرافية السياسية للدول الإسلامية في القرن الرابع الهجري يساهم في فهم أصول تشكيل هذه الدول وتأثيرها على التاريخ والتطور في المنطقة.

الكلمات المفتاحية : الدواة الفاطمية، الدولة الأموية، الدولة العباسية ، الطبيعة الجغرافية

التمهيد:

منذ ظهور الإسلام وحتى وقتنا الحاضر مرّ التاريخ الإسلامي بمدة طويلة من حيث الزمن، ومساحة جغرافية واسعة من حيث المكان امتدت من الصين شرقاً في آسيا وحتى شمال إفريقيا والأندلس غرباً.

وخلال هذه المدة الزمنية والمساحة الشاسعة ظهرت العديد من الدول التي اتخذت من الدين الإسلامي قاعدة للحكم والسيطرة، وقامت كل واحدة منها على أنقاض الدولة الأخرى.

ولعل أبرز وأهم هذه الدول الإسلامية التي تركت الأحداث والوقائع فيها آثاراً ما نزال نعيش تداعياتها حتى وقتنا الحاضر هم الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة الفاطمية (حسن، ١٩٨٥: ص٧٥).

فالدولة الأموية قامت على مسافة زمنية قريبة من رسالة نبي الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وامتدت على مساحة شاسعة، كما جرت فيها العديد من الصراعات والنزاعات أبرزها رفض معاوية بن أبي سفيان (مؤسس الدولة الأموية) خلافة

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأحقيته في الحكم، إضافةً إلى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) على يد يزيد بن معاوية لرفضه مبايعته (الحموي، ١٩٩٦: ص١١١).

بينما شهدت الخلافة العباسية التدخلات الخارجية بشكل مباشر في الحكم والسيطرة على النفوذ والسلطة في الخلافة الإسلامية من خلال تدخل الأتراك والبويهيين والسلاجقة وغيرهم.

فيما عملت الدولة الفاطمية على الاتساع والتمدد واتخاذ مصر قاعدة وعاصمة لهم للسيطرة على الخلافة الإسلامية بعد محاولة القضاء على العباسيين وحكمهم.

و للقرن الرابع الهجري نصيباً واسعاً من الأحداث والتطورات الداخلية والخارجية في هذه الدول ومن جميع النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

ومن خلال هذا البحث نحاول تسليط الضوء على الطبيعة الجغرافية السياسية لهذه الدول الثلاث والأحداث التاريخية التي رافقت قيامها واستمرارها وسقوطها، مع التركيز على هذه الأحداث في القرن الرابع الهجري.

نشأة الدولة الأموية في الأندلس:

تمكن عقبة بن نافع من فتح الشمال الإفريقي وصولاً إلى المحيط الأطلسي و بعد إتمام الفتح أصبح موسى بن نصير والياً على إفريقية و اتخذ من القيروان عاصمة له.

و بعدها بدأت الأمور تستقر و تستتب و راحت الأنظار تتجه نحو الضفة الشمالية للمتوسط من أجل فتح الأندلس، و قد استمر الحكم الإسلامي للأندلس ثمانية قرون من الفترة الممتدة بين نهاية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الظاهر، ١٩٨٦ : ص١٤٥).

و قد تم تقسيم الوجود الإسلامي في الأندلس إلى مراحل عديدة في المؤلفات و المراجع التي سردت التاريخ وفق ما يلي:

– مرحلة الفتح التي استمرت حوالي أربع سنوات

– عهد الولاة ثم عهد الإمارة الذي بدأ بدخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس الذي قام بتأسيس إمارة مستقلة عن الدولة العباسية.

– عصر الخلافة المستقلة بشكل كامل.

و قد استمر عصر الخلافة المستقلة كل سنوات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، الذي بدأ بخلافة الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٠٠–٣٥٠ هـ / ٩١٢–٩٦١م، حيث شهدت فترة حكمه الكثير من الفتوحات و تم توسيع رقعة الدولة الأموية في تلك الفترة (الحموي، ١٩٩٦: ص١١١).

كما عاشت الدولة الأموية في الأندلس في هذه الفترة تطوراً و تقدماً في العديد من المجالات السياسية و الاقتصادية و العسكرية حتى أصبحت وجهة للبعثات الدبلوماسية من مختلف الدول توجهت إلى عبد الرحمن الناصر طالبة منه المؤازرة و الدعم (القاسمي، ١٩٩٦: ص١٥٣).

فيما بعد بدأ عصر ملوك الطوائف الذي استمر حتى دخول مرابطين من المغرب إلى الأندلس و كانت مملكة غرناطة آخر مراحل الحكم الإسلامي في الأندلس الذي انتهى بسقوطها (الحجي، ١٩٩٠: ص١٣١).

كانت دمشق عاصمة دولة الأمويين في المشرق، و قد شهدت هذه المدينة تطوراً و اتساعاً و امتداداً كبيراً في عهد الخليفة العاشر هشام بن عبد الملك فقد وصلت حدودها إلى الصين شرقاً، كما استطاعت ضم كل من إفريقية والمغرب والأندلس والسند وجنوب الغال وما وراء النهر إليها (الحجي، ١٩٩٠: ص١٤٧).

الفكر السياسي للدولة الأموية:

ان الفكر السياسي للدولة الأموية يمثل أيديولوجية الحكم الأموي، فإن عدنا الى أحاديث وتصريحات حكام الدولة الأموية وعملنا على اجراء مقارنة بينها وبين أفعالهم على أرض الواقع لاكتشفنا أن المنظومة الفكرية التي تقوم عليها الأيديولوجية الأموية هي الفكر السياسي ، وتتشكّل هذه المنظومة مِن:

– الجبر: و هو نفي الفعل حقيقةً عن العبد و إرجاعه إلى الله سبحانه تعالى (الشهرستاني، ١٩٧٨: ص١٣٨) و قد أشار السبحاني إلى هذه الحقيقة دون أن يتحدث عنها بالتفصيل فقال : " كان العصر الأموي يسوده القول بالجبر الذي يقوم بتصوير الإنسان و المجتمع أنهما غير مخيران بل مسيران" (السبحاني، ١٩٨٨: ص٢٢٧).

– الأرجاء: وظهر الإرجاء في بداية الأمر عند بني أمية ثم أصبح تيار سياسي موالي و داعم للحكم الأموي و مُدافع عن كل ما قاموا به من أعمال و ممارسات.

كما أشار السبحاني إلى أن فكرة الإرجاء نشأت أثناء فترة الحكم الأموي فيقول: "والظاهر فكرة الإرجاء نشأت في أحضان الدعايات الأموية ، والفضائل المفتعلة لجملة من أصحاب النبي فغشيت وجه الحقيقة وعاقت البعض على الخوض في الأبحاث الخطيرة أو اقتحام المعارك المدلهمة" (السبحاني، ١٩٨٨: ص٢٦٥).

عرفت الشخصية الأموية بشكل عام أنها شخصية مصلحية نفعية بعيدة كل البعد عن الالتزام و الثبات على المبادئ.

و بالعودة إلى بداية بزوغ الرسالة المحمدية في مكة شعر بني أمية أن هذا الأمر سيشكل تهديداً كبيراً لمصالحهم في مكة مما دفعهم إلى تجهيز الجيوش و قيادة المعارك في سبيل قطع شجرة الرسالة و إطفاء نورها و لكن الله سبحانه أفشل جميع محاولاتهم و نصر نبيه الكريم فدخلوا في الدين الإسلامي كارهين و هذا ما أشار إليه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله : " ما أسلموا و لكن استسلموا " (ابن أبي الحديد، ١٩٧٥: ص٢٦٣).

و قد وجد الأمويين أنه لا حاجة لمواجهة المد الإسلامي لأنه يتيح لهم فرصة الانتشار و السيطرة إن أحسنوا استغلالها فلماذا لا يخلعون جلدهم و يلبسون جلداً جديداً يتغلغلون عن طريقه و يستولون على بقاع كثيرة من الأرض فكان لهم حضور كبير في مرحلة الدعوة والنبوة كبيرا من جهة المناهضين لها، وتواصل هذا الحضور في مرحلة الخلافة التي تلت عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (السامرائي، ١٩٨١: ص١٢٦).

الدولة الأموية في الأندلس:

دخل طارق بن زياد أحد قادة موسى بن نصير والي الأمويين على إفريقيا سنة ٩٢ هـ بجيش تعداده حوالي سبعة آلاف محارب (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص١٩٣)، و بذلك يكون المسلمين قد سيطروا على الأندلس و بسطوا سلطتهم فيها.

و استمر جيش طارق بن زياد بالفتوحات لأعوام فتمكن بعد عامين من السيطرة على معظم منطقة شبه الجزيرة الإيبيرية وهزيمة ملك القوط الغربيين رودريك في معركة وادي لكة، واستمر المسلمون في التوسع بالجهة الشرقية من بلاد الغال

حتى وصلوا إلى حدود مدينة ليون الفرنسية الحالية، وقد استطاعت هذه المحاولات تحقيق بعض النجاحات لكنها توقفت بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء.

وبقيت الأندلس مجرد ولاية تتبع ولاية إفريقيا إحدى ولايات الأمويين في دمشق حتى سقطت الخلافة الأموية على أيدي العباسيين سنة ١٣٢ هـ.

وسادت الصراعات والاضطرابات في الأندلس قبل دخول عبد الرحمن الداخل إليها، حيث تعاقب عليها الولاة ووقع صراع بين العرب المضرية والعرب اليمانية من جهة، وبين البربر والعرب من جهة ثانية (السامرائي، ١٩٨١: ص١٤٥).

و لا يمكننا إغفال حقيقة الصراع الذي نشب بين الدولة الأموية و جيرانها في الشرق و الشمال منذ بداية تأسيسها بهدف بسط النفوذ و السيطرة من جهة و من أجل الاستمرارية و البقاء من جهة أخرى.

فكانت هناك مجموعة من الأخطار و التحديات التي تهدد الوجود الأموي و الدولة الأموية في الأندلس منذ بداية نشأتها، نذكر منها:

– غزو شارلمان

– محاولات عبور من قبل مملكتي أستوراس ونافارا من الحدود الشمالية للأندلس

– غزو بحري من قبل النورمان على الأندلس حيث استطاعوا السيطرة على لشبونة و قادس و إشبيلية و شذونة لكنهم هزموا من قبل جيش الامويين و خرجوا من هذه المدن بعد أيام من دخولهم إليها (مؤنس، ١٩٩٤: ص١٤٢).

سياسة الدولة الأموية في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري:

تأسست السياسة الأموية في الأندلس على مجموعة من الأسس أبرزها :

– الجاهزية الدائمة للرد على كل محاولات إضعاف الدولة الأموية و النيل منها و إنهاء وجودها، فكان الأمويين متحضرين جاهزين مستعدين لمواجهة كل من يحاول السيطرة على أراضيها بالقوة و خوض حرب عسكرية معه (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص٢١٦).

– كان الأمويين دائمي التخطيط و التطلع إلى توسيع رقعة دولتهم ومد نفوذهم و زيادة مساحة سلطتهم ، فقد امتدت مساحة الدولة الأموية إلى الهند من خلال غزوات و حروب قامت بها من قبل الجيش الأموي.

– كان الأمويين شديدي الحرص على إقامة علاقات في مختلف المجالات مع بعض الدول، للاستعانة بهذه الدول في حل النزاعات الداخلية و الاضطرابات التي كانت تحدث ضمن حدود الدولة الأموية، فأقامت الدولة الأموية اتفاقيات دبلوماسية قوية مع الدول و الامبراطوريات بغية ضمان الاستقرار و السلام معهم و لرد شرهم و خطرهم المتوقع (بيضون، ١٩٨٠: ص٢٣٢).

حيث أقامت الدولة الأموية اتفاقيات ومعاهدات مع البيزنطيين في القرن الرابع الهجري، وكانت العلاقات بين الأمويين و البيزنطيين مستقرة و هادئة طيلة هذه الفترة.

و في سبيل توطيد هذه العلاقات و تثبيتها كان الأمويون يقومون بتوجيه السفراء و البعثات لاستمالة البيزنطيين و كسبهم في صفهم، و أول بعثة أُرسلت كانت عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م.

و نتيجة لهذه الاتفاقيات و العلاقات التي عملت الدولة الأموية على بنائها مع العديد من الدول و الممالك و منها البيزنطيين شهدت الدولة نهضة و تطور في مختلف المجالات العلمية و العمرانية و الثقافية (أبو رميلة، ١٩٧٧: ص٨٤).

كما كان للدولة الأموية سياسة مع اليمن على مر السنين، حيث لجأت إلى السياسة العسكرية و استخدام القوة لتوسيع رقعة سيطرتها و نفوذها على المناطق اليمنية، حيث قامت الدولة الأموية باستخدام الجيوش المنتشرة في المناطق المحتلة بهدف إبقاء السيطرة و المحافظة على النظام الأموي (أمين، ٢٠٠٠: ص١٧٠).

كما قامت الدولة الأموية باستخدام الجيوش لقمع أي تحرك أو تمرد يمني ضد الحكم الأموي و قد تم تعيين حكام من الأمويين في اليمن لتسيير الشؤون بما يتوافق مع مصالح الدولة الأموية و أهدافها و لضمان الاستقرار بها (أبو رميلة، ١٩٧٧: ص٩٦).

عصر ضعف الدولة الأموية في الأندلس:

عانت الأندلس من المشاكل و النزاعات و الاضطرابات في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي وولديه المنذر وعبد الله، فقد قامت عدة حركات و ثورات داخلية من تسببت في ضياع التنظيم و السلام و انتشار الفوضى.

و نتج عن هذه الحركات و الثورات الداخلية قيام إمارات كادت أن تستقل عن الدولة الأموية فلم تخضع لسلطتها و لم تتقيد بنظامها و قوانينها و لم تعمل بها.

كما تعرضت الأندلس إلى مجموعة من الهجمات الخارجية التي تعرضت لها الدولة الأموية في الأندلس من قبل النورمان والممالك المسيحية في الشمال من أجل استعادة الأراضي التي سيطر عليها الأمويين، ونتيجة لذلك ضعف نفوذ الدولة على أراضيها حتى لم تتجاوز سلطة الأمير عبد الله بن محمد إلا على منطقة قرطبة وأحوازها(مؤنس، ١٩٩٤: ص١١١).

نشأة الدولة الفاطمية في المغرب:

بدأ تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري ، و قد بدأت بالانتشار في كل أرجاء البلاد شرقها وغربها، إلى أن أصبحت دولة منافسة للحكم العباسي في غضون قرنين ونصف من الزمن، كانت الدولة الفاطمية على المذهب الإسماعيلي(كباشي، ٢٠٠٧م، ص٣٧)، فقد تم الإقرار بوفاة إسماعيل واستلام ابنه محمد بن إسماعيل الإمامة بعد وفاته (النوبختي، ١٩٦٤م، ص٨١)، وقد استمرت الدولة الفاطمية في المغرب ما يزيد عن خمس وستين سنة من (٢٩٦-٣٦٢هـ/ ٩٠٨- ٩٧٤م).

و سميت الدولة الفاطمية باسمها هذا نسبة الى فاطمة الزهراء (عليها السلام) ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص١٦٩)، بما أنهم ينشؤون خلافتهم على أساس أنهم أسباط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنهم أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ يعتبر(عليه السلام) الجد الشرعي لخلفائهم و لهذا السبب تمت تسميتهم بالدولة العلوية أيضاً، كما أُطلق عليهم لقب الباطنية لاعتقادهم أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وإن المقصود منه الباطن دون الظاهر (الكرماني، ١٩٧٣: ص٥٩).

ساعد الفاطميون في تأسيس دولتهم في المغرب العربي عدة أسباب رئيسية و هي:

- بيئة المغرب العربي وظروفه السائدة في تلك الفترة، حيث كانت بيئة المغرب العربي بيئة ملائمة لقيام الخلافة الفاطمية و احتضانها

– انتشار المذهب العلوي بشكل واضح و ممتد بين الناس.

_الاحترام و الود و الحب الذي يحمله السكان في قلوبهم لآل بيت النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله وسلم).

– كانت المغرب تحت حكم الأدارسة العلويين و هذا ما ساعد الدعاة الفاطميين في بث دعوتهم بين أهلها.

و قد تم إرسال رجلاً اسمه عبد الله إلى المغرب من قبل عبيد الله المهدي و ليبدأ بنشر دعوته في المغرب و لاقى قبول و ترحيب من ناسها و أهلها فقام باستخدام هذا القبول و الترحيب لبسط السلطة الفاطمية في شمال إفريقية (ابن خلدون، ١٩٨٥: ص١٦٩).

لكن توجب على عبد الله القضاء على الجماعات التي رفعت صوت دعم الحكم العباسي و الولاء له في بغداد و منهم الأغالبة و عاصمتهم القيروان، و في سنة ٢٩٠هـ اصطدموا مع الفاطميين و دارت بينهما معركة انتصر فيها الفاطميون بقيادة عبد الله و تمكن من الاستيلاء على سطيف و طبنة و بلزمة و هي أهم مناطق المغرب العربي (ابن خلدون، ١٩٨٥: ص١٨٨).

الدولة الفاطمية في المغرب في القرن الرابع الهجري:

تعدت العوامل التي أسهمت في قيام الدولة الفاطمية و نشأتها منها:

– ملاحقة الدولة العباسية لأتباع الأئمة (عليهم السلام) و اضطهادهم و تهجيرهم و قتل قسم كبير منهم.

– جهوزية المكان والمنطقة لقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب العربي و توافر الظروف المساعدة لامتدادها في القرن الرابع الهجري إلى أماكن واسعة عن طريق السيطرة على مصر وبعض المناطق الأخرى كبلاد الشام وغيرها.

و بعد أن تمكن الفاطميون من الاستيلاء على إفريقيا خططوا للامتداد باتجاه الشرق والغرب، فكان هدفهم أولاً الاستيلاء على مصر في الشرق لكنهم لم يحققوه و فشلوا في ذلك في عهد عبد الله، لكنهم نجحوا في بسط سلطتهم على المناطق الغربية وصولاً إلى شواطئ المحيط الاطلسي بعد أن تمت المواجهة مع الأدارسة وأزالوها، كما دارت حروب بين الفاطميين والأمويين في الأندلس.

و كان هدف عبد الله السيطرة على كل القبائل الكبيرة في المغرب و إدخالهم تحت سلطته ، لكن عبد الله لم ينجح في السيطرة على كل مساحات المغرب و جعلها تحت نفوذه و سيطرته لكنه بالوقت ذاته من خلال خططه و تقدمه سهّل الأمور أمام المعز لدين الله للسيطرة على هذه المناطق و جعلها ضمن سيطرته ونفوذه والحكم بها استكمالاً لما بدأ به عبد الله (الكرماني، ١٩٧٣: ص١٣٦).

لم يكن إخضاع بلاد المغرب من قبل الفاطميين دفعة واحدة بل تم ذلك وفق خطة بمراحل متعددة و هي:

– المرحلة الأولى بقيادة أبي عبد الله الشيعي.

– المرحلة الثاني بقيادة عبد الله المهدي، حيث تمكن من السيطرة على مناطق المغربين الأوسط والأقصى وجزيرة صقلية فكان ذلك تقدماً واضحاً و إنجازاً كبيراً له (حسن، ١٩٨٥: ص٧٨).

و لا يمكننا إغفال الثورات التي نشبت في مناطق الدولة الفاطمية في بداية حكمهم و كثرت هذه الثورات بعد مقتل أبو عبد الله الشيعي، لكن هذه الثورات جميعها لم تحقق مآربها مع تمكن عبد الله استطاع من إخمادها جميعها.

المهدية عاصمة الدولة الفاطمية:

قام الفاطميون بإنشاء عاصمة لهم و أطلقوا عليها اسم المهدية (الحموي، ١٩٩٦م، ص٣٤٤)، و كانت المهدية مركز قوة للفاطميين حيث تم الانتقال إليها في السنوات الأولى من القرن الرابع الهجري و تحديداً عام ٣٠٨ هـ (البكري، ١٩٧٥: ص٢٢٢)، واستقروا فيها وعندها أعلن عبد الله اطمئنانه على الفاطميين قائلاً "أمنت اليوم على الفواطم" (ابن خلدون، ١٩٨٥: ص٢٠٥).

كانت مدينة المهدية عاصمة الدولة الفاطمية ميناء بحري وتجاري وعسكري تطل على البحر من اتجاهات ثلاثة، كانت المهدية مدينة محصنة أبوابها مصنوعة من الحديد الخالص لها مدخل واحد عليه ست عشر برجاً للمراقبة والرصد، فيها دار لإنشاء السفن، اهتم الفاطميون بهذا الدار اهتماماً يعكس عنايتهم و سعيهم الدائم لتطوير دولتهم و نموها (البكري، ١٩٧٥: ص١٩٢).

التوسع الجغرافي للدولة الفاطمية في بداية القرن الرابع الهجري:

وجد الفاطميون مع بداية القرن الرابع الهجري الحاجة إلى توسيع مناطق سيطرتهم و نفوذهم و مد سلطتهم إلى مناطق أخرى، واخذو يجهزوا لهذا الأمر منطلقين من عاصمتهم (المهدية) نظراً لأهمية موقعها القريب من مراكز تجارية بحرية بارزة ترتبط بخطوط تجارة بحرية مع مدينة الاسكندرية المصرية منها مدينة سوسة وتونس و غيرها...

و في عام ٣٠٢ هـ انطلق أبا القاسم بن عبد الله المهدي بحملته الأولى على مصر و قد أثمرت هذه الحملة دخوله الاسكندرية التي تركها أهلها وهربوا منها ، لكن تقدم أبا القاسم بن عبد الله المهدي لم يستمر حيث هُزم في الفيوم من قبل العباسيين (المراكشي، ١٩٧٧: ص١٤٧).

و مع تولي أبو تميم المعز لدين الله حكم الفاطميين تم الاستيلاء على مصر من قبله و إخضاعها ، و كان الاستيلاء على مصر نقطة تحول في تاريخ الدولة الفاطمية لأهمية هذه الخطوة و تأثيرها على المدى الطويل (ابن خلدون، ١٩٨٥: ص١٥٧).

فيما بعد نشب خلاف بين الفاطميين و القرامطة في الشرق، حيث طمح القرامطة إلى السيطرة على مصر و حاولوا تحقيق مطامحهم أكثر من مرة حتى أنهم اقتربوا من القاهرة، لكن قوة الفاطميين كانت حاضرة و تمكنوا من ردهم و إخفاق محاولاتهم جميعها.

و عند إخفاق محاولات القرامطة عدّ الفاطميون عدتهم لتوسيع رقعة سلطتهم و نفوذهم و ضم العديد من المناطق لسيطرتهم تدريجياً وبالفعل استطاعوا السيطرة على بلاد الشام عام ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م، و أخضعوها حتى منطقة حلب شمالاً و مع توسعهم تمكنوا من القضاء على الحمدانيين، كما أنهم تمكنوا من هزيمة أشراف الحجاز و السيطرة عليها ، و بذلك أصبحت مساحة الدولة الفاطمية تمتد من المغرب إلى مشارف العراق (شبانة، ٢٠٠٨: ص١٤٥).

و نجحت الحملات الفاطمية في إخضاع مدينة شيزر وحماة وحمص وبلوغ مدينة الموصل في زمن ليس طويل.

وصلت الدولة الفاطمية إلى قمة الازدهار في فترة حكم أبو منصور نزار العزيز بالله الذي عمّ في حكمه السلام و الراحة والازدهار في الدولة التي بلغت في عهده أقصى اتساع لها (البعلبكي، ١٩٧٧: ص٣٢).

نشأة الدولة العباسية:

الدولة العباسية ثالث خلافة إسلامية في التاريخ و ثاني السلالات الحاكمة الإسلامية حيث استطاع العباسيين الإطاحة بحكم الأمويين و إزاحتهم من دربهم و تم ذلك عن طريق قيامهم بعدد من الثورات في وجه الأمويين، و قد نشبت هذه الثورات من خراسان بداية فبدأوا بمحاربة و مطاردة الأمويين و تمكنوا منهم و استطاعوا قتل أغلبهم في حين تمكن

بعضهم من الهروب و من بين الفارّين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (الزياني، ١٩٨٦: ص١٦٦).

ينتسب العباسيون في الأصل إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبشكل خاص إلى ابنه عبد الله بن العباس ثاني أولاد العباس بعد الفضل أكبر أولاده والذي لم يستمر له نسل.

فالعباسيين نموا من نسل عبد الله بن العباسي ، من نسل ابنه علي بن عبد الله بن العباس ثم حفيده محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، والد إبراهيم وأبو العباس السفاح أول خليفة عباسي وأبو جعفر المنصور ثاني خليفة للعباسيين (الخضري بك، ١٩٨٩: ص٨٠)

لقد شهدت الدولة العباسية أزمنة من الرخاء و التطور والازدهار، كما عاشت فترات من التعب و الوهن والانحدار، و تتسم كل فترة من هذه الفترات بسمات خاصة حيث وقع في كل منها الكثير من الأحداث و الوقائع التي دونها التاريخ و ضمتها الكتب و المراجع التاريخية.

على الرغم من أن الدولة العباسية شهدت مراحل مختلفة من الرخاء و الازدهار لكن تبقى خلافة محمد المهدي وهارون الرشيد وابنيه المأمون والأمين والمعتصم بالله أكثر المراحل قوة و ازدهار و تطور.

شهدت الدولة العباسية في هذه الفترات نمو عمراني و تطور حضاري علمي في الكثير من التخصصات منها كالفيزياء والفلك، و فيها تم اختراع عدد من الاختراعات و منها الساعة المائية في عصر هارون الرشيد.

كما تم تطوير الزراعة و القيام بعدد من الخطوات في سبيل ذلك منها:

- حفر الترع
- بناء الجسور والقناطر الكبيرة

كما ازدهرت التجارة و تطورت من خلال:

- تشديد الحراسة على الطرق التجارية الواصلة بين المدن.
- تم إنشاء مدن جديدة كسامراء.

كما توسعت رقعة الدولة العباسية وامتدت حتى وصلت إلى مناطق القوقاز والاناضول وآسيا الوسطى (عياش، ١٩٩٠: ص٩٣).

لم يكن قيام الدولة العباسية مجرّد مبايعة خليفة دون آخر، أو تحول الحكم من الأمويين إلى العباسيين في حكم الأمة الإسلامية، بل يعتبر هذا الحدث ثورة شاملة في التاريخ الإسلامي، وحدثاً بارزاً في خط التطور الإسلامي، غيّر بشكل عميق في المجتمع الإسلامي وترك أثراً عميقاً في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفتح الطريق للمسلمين من غير العرب للظهور في هذه الجوانب (طقوش، ٢٠٠٩: ص٥٢).

امتداد الدولة العباسية و العوامل المؤثرة عليها:

في الوقت الذي سيطر فيه العباسيين على الحكم امتد العالم الإسلامي من اقليمي جرجان و طخارستان إلى حدود الصين وبلاد الترك ومنطقة كشمير في الجنوب الشرقي وبلاد النوبة في الجنوب المصري وحتى المغرب في الصحراء جنوباً، وجبال القوقاز وأرمينيا في الشمال، و وصلت الحدود إلى الامبراطورية البيزنطية، أما في الأندلس فقد وصلت حدودها إلى جنوب مناطق الفرنجة (عياش، ١٩٩٠: ص١٠٥).

وقد دونت عدد من كتب التاريخ أن قبل وصول العباسيين إلى الحكم كان امتداد العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب وصل إلى ٢٦٠٠ فرسخ، وقد انقسمت إلى عدة أجزاء كبرى وكل منها كان يشتمل على عدة ولايات نذكرها وفق ما يلي:

جزيرة العرب وضمت ولايات الحجاز واليمن وعمان

قسم العراق وضم ولايات الكوفة والبصرة وواسط والمدائن وحلوان وسامراء

إقليم الجزيرة وضم ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر

قسم الشام وضم قنسرين وحمص ودمشق والأردن وفلسطين والشراة

إقليم مصر وضم الجفار والحوف والريف واسكندرية ومقدونية والصعيد والواحات.

إقليم المغرب وضم ولايات برقة وإفريقية و تاهرت و سجلماسة وفاس والسوس الأقصى والأندلس

إقليم المشرق وفيه عدة أقسام وكل قسم وله ولايات.

إقليم الديلم، إقليم الرحاب، إقليم الجبال، والعديد غيرها من الأقاليم التي تضم الكثير من الولايات والمدن (الخضري بك، ١٩٨٩:ص١٥٧).

لكن في زمن الخلافة العباسية تقلصت هذه المساحات الكبيرة و انحسرت بسبب مجموعة من الظروف و العوامل منها عوامل داخلية و منها عوامل خارجية تتعلق بجوار الدولة.

واجهت الدولة العباسية في بدايات القرن الرابع الهجري الكثير من الصعوبات والمشاكل حيث أُصيبت بالضعف و الوهن، و واجهتها مجموعة من المخاطر، و أهم هذه المخاطر:

– قيام الدولة الفاطمية واتساع رقعة امتدادها على حساب الدولة العباسية فشكلت الدولة الفاطمية خطراً حقيقياً على الدولة العباسية.

– قيام الدولة الأموية في الأندلس و كان ذلك عام ٣١٦ هـ/ ٩٠٩ م.

– تدخل العناصر الأجنبية وازدياد نفوذها في الحكم العباسي.

– اهتمام بعض الخلفاء وانشغالهم بملذات الحياة وبناء القصور والنساء وعدم الاهتمام بقضايا الناس وهمومهم.

– تدخل وتحكّم النساء بشكل كبير في الحكم وتعيين الخليفة،

و في هذه المرحلة التي ضعفت فيها الدولة العباسية استغل القرامطة ضعفهم واضطرابهم، فخططوا إلى احتلال مدن منها و بالفعل نفذوا مخططاتهم و قاموا بمهاجمة بعضها و منها البحرين و الكوفة التي تم احتلالها من قبلهم عام ٣١٥ هـ، و من ثم دخلوا إلى الأنبار وأرض الجزيرة (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص٢١٥)، و فيما بعد كانت وجهتهم مكة المكرمة فتمكنوا من السيطرة عليها عام ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م (المسعودي، ١٩٨٤: ص٣٤٦).

كما برزت مطامع الإخشيديين في فترة ضعف الدولة العباسية واضطرابها في نقل الخلافة العباسية إلى مصر حيث كانت تحكمها و تسيطر عليها فقد استولى الإخشيديون على مصر و كل المدن الساحلية التابعة لدمشق في بلاد الشام مثل بيروت وصور وصيدا، كما استولوا على دمشق نفسها وبعلبك، ولكنهم فشلوا في نقل مقر الخلافة إلى مصر.

ثم بعد ذلك بدأت مرحلة سيطرة النفوذ البويهي على الدولة العباسية عند دخول معز الدولة أحمد بن بويه إلى بغداد عام ٣٣٤ هـ، فتم القبض على الخليفة المستكفي بالله وخلعه وتمت المبايعة للفضل بن المقتدر الملقب بالمطيع لله (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص٢٣٣)

تأثير الموقع الجغرافي للدولة العباسية على ازدهار التجارة فيها:

ساعد موقع الدولة العباسية و امتدادها الواسع و تمركزها العالمي الذي جعل أراضيها معبراً وممراً تجارياً تعبر فيه القوافل التجارية المحملة بالبضائع و المتجهة من أوروبا إلى الشرق الأوسط و بالعكس من الشرق الأوسط إلى أوروبا.

و اشتهر من هذه الطرق طريق الحرير الذي ازدهر بنقل و تجارة العطورات و أنواع التوابل.

تعاملت الدولة العباسية بالدينار، فكان الدينار عملتها الرسمية، وتم سك العملة الدينار من الذهب والفضة و في بعض الأحيان قاموا بخلطه بكميات قليلة من البرونز والنحاس بهدف زيادة كمية النقود (البغدادي، د.ت: ص١٧٧).

نهاية الدولة العباسية:

انتشرت الحركات الانفصالية وقامت الحركات الثورية والتمردات وانفصال الأقاليم عن الدولة العباسية، وقيام بعضها بالسيطرة على مناطق نفوذ العباسيين.

وقد انتهى الحكم العباسي عملياً في بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م عندما غزاها المغول بقيادة هولاكو ونهبوها وحرقوا المدينة، ورغم قيام الخلافة مجدداً في القاهرة عام ٦٥٩ هـ /١٢٦١ م واستمرارها لعام ١٥١٧هـ / ٩٢٣ م.

إلا أنها كانت خلافة شكلية أصبح فيها الخليفة مجرد رمز ديني، في حين كان سلطان المماليك هو الحاكم الفعلي للدولة، وقد سيطروا على مصر وبلاد الشام وأقاموا فيها دولتهم حتى سقوطها على يد العثمانيين الأتراك عام٩٢٣ هـ / ١٥١٧م (سوزي، ١٩٨٨: ص٢٤١).

الخاتمة:

قمنا في هذا البحث بدراسة طبيعة العلاقة الجغرافية السياسية والتاريخية للدول الإسلامية في القرن الرابع الهجري، حيث تم البحث في نشأة كل من الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة الفاطمية وامتداد كل منها ومدى تأثير الموقع الجغرافي على سياسة الدول الإسلامية وعلاقاتها الداخلية و الخارجية، ودراسة الأحداث التاريخية التي رافقت قيامها واستمرارها وصولاً إلى سقوطها.

النتائج:

- أثرت العلاقات السياسية التوترية بين الدولة الفاطمية و الدولة الأموية في القرن الرابع الهجري على الطبيعة الجغرافية للدولتين.
- أثرت مجموعة من العوامل على إقامة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب العربي وامتدادها في القرن الرابع الهجري.
- ساهم موقع الدولة العباسية وتمركزها العالم في جعل أراضيها معبراً تجارياً للقوافل المتجهة من أوروبا إلى الشرق الأوسط و بالعكس من الشرق الأوسط إلى أوروبا.
- تسبب الوجود الفاطمي في الغرب الإسلامي في بداية القرن الرابع الهجري بحدوث تغيراً جذرياً في غرب البحر المتوسط.
- كانت بيئة المغرب العربي وطبيعته الجغرافية مناسبة لقيام الخلافة الفاطمية و احتضانها.
- أحد أبرز أسباب عدم التمكن من بسط النفوذ السياسي والاجتماعي للفاطميين في الاندلس احتكاكها وخلافها مع الدولة الاموية.

التوصيات:

- يجب البحث في بداية نشأة الدول الإسلامية وفهم سير الأحداث فيها والتعرف على الأحداث التي جرت فيها.
- من الممكن أن يوجد علاقات متبادلة إلى جانب العلاقات المتضاربة بين الطرفين كما لاحظنا في العلاقة بين الدولتين الأموية والفاطمية.
- يتوجب على ذوي العلوم الاجتماعية أخذ الفائدة من الميدان الاجتماعي الذي قامت به الدولة الفاطمية في التعامل مع المجتمعات.
- السبيل الأنسب لنشر المعتقد وبسط النفوذ في مكان ما إرسال الدعاة، وهذا ما ساعد الفاطميين في دخولهم المغرب وبث عقيدتهم بين أهلها

المصادر و المراجع:

١. الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، ج ٨، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٩٩٦ م
٢. كباشي، غنية ياسر، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧–٥٦٧هـ/ ٩٠٩– ١١٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية– جامعة بغداد، ٢٠٠٧م
٣. النوبختي ،ابي محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة ،تحقيق محمد صادق بحر العلوم المطبعة الحيدرية– النجف ، ١٩٦٤م
٤. ابن الأثير، عزالدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الفكر–بيروت،١٩٧٨م
٥. الكرماني ،أحمد حميد الدين ، الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف تحقيق ،سليمة عبد الرسول ،مطبعة الرشاد–بغداد،١٩٧٣م
٦. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر العربي– بيروت
٧. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، دار الفكر العربي– بيروت، ١٩٧٠م
٨. الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٩٩٦ م
٩. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، المطبعة الأوربية، ١٩٥٧ م
١٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، دار الفكر العربي– بيروت، ١٩٥٩م.
١١. البكري، عبد الرحمن بن محمد ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، المطبعة الأوربية، ١٩٥٧
١٢. المراكشي، ابو عبدالله محمد ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، دار الغرب الإسلامي – تونس
١٣. البعلبكي، منير عبد الحفيظ، و جحا، شفيق، المصور في التاريخ، دار الأعلمي– بيروت، ١٩٧٧م
١٤. الزياني، أبو القاسم بن احمد بن علي ،الترجمان المعرب عن دول المشرق و المغرب ، دار المعرفة– دمشق، ١٩٨٦م
١٥. الخضري بك، محمد بن عفيفي، الدولة العباسية، دار الكتب الإسلامية– بيروت، ١٩٨٩م
١٦. عياش، عبد القادر، حضارة وادي الفرات، دار الأهالي– دمشق، ١٩٩٦ م
١٧. طقوش، محمد سهيل ، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس– لبنان، ٢٠٠٩ م، ج١، ص ٧.
١٨. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال– بيروت، ١٩٨١ م
١٩. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، دار الملاك– القاهرة، ١٩٨١م
٢٠. البغدادي، ابو بكر بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية– بيروت، د.ت
٢١. حمود، سوزي، الدولة العباسية تاريخها وحضارتها، دار الكتب العلمية– بيروت ، ١٩٨٨م
٢٢. المجلس القومي الثقافي العربي، العقلانية العربية والمشروع الحضاري، المجلس القومي الثقافي العربي،ط١ (الرباط ،١٩٩٢م)
٢٣. الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، دار المعارف– بيروت ، ١٤٢٨ هـ
٢٤. السبحاني، جعفر محمد حسين ، بحوث في الملل والنحل، دار المعارف– بيروت ١٤٢٧هـ
٢٥. ابن أبي حديد، عز الدين ابو حامد ، شرح نهج البلاغة ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي– قم
٢٦. السامرائي، خليل، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ٢٠٠٠م
٢٧. مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، دار الرشاد– القاهرة، ١٩٩٤م
٢٨. أبو رميلة ، هشام ، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، المكتبة العالمية– بيروت، ١٩٧٧م
٢٩. بيضون، ابراهيم، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢هـ–٤٢٢هـ/٧١١م–١٠٣١م، دار النهضة للطباعة– بيروت، ١٩٨٠م
٣٠. أبو رميلة ، هشام ، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، المكتبة العالمية– بيروت، ١٩٧٧م
٣١. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة، ١٩٨٥م